الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة حمة لخضر بالوادي

كلية الآداب و اللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

المصطلحات والمقامات الصوفية من خلال شعر الحلاج

–دراسة تحليلية–

مذكرة معدّة ضمن متطلبات نيل شهادة الليسانس (ل .م .د)في اللغة العربية وآدابها

تخصص –أدب –

إعداد الطـــلبة:

- ✓ الضاوية خليفة
- ✓ زعرة طويل
- ✓ نزيهة سليماني

إشراف الأستاذ:

عبد الرشيد هميسي

الموسم الجامعي : 1435–1436هـ / 2014–2015م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم

يتفكرون ﴾

سورة الحشر الآية 21

شكر وعرفان

قال الله تعالى:" ربي اوزعني أن أشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين"

نحمد الله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ونشكره على إتمام هذا العمل المتواضع ويسعدنا في هذه المناسبة أن نتقدم بجزيل الشكر والعرفان وعظيم الامتياز وإلى كل من قدم لنا يد المساعدة وخاصة الأستاذ المشرف "عبد الرشيد هميسي" على توجيهاته و إرشاداته لنا كما نخص بالشكر إلى كل الأساتذة الآفاضل "سعد مردف" "حمادة حمزة" "طاهر خليفة" وإلى عمال مكتبتنا ومكتبة دار الثقافة ومكتبة سيدي سالم وإلى كل من تحمل معنا مشقة كتابة هذا العمل الأخ "مهدي طويل" و"محمد سليماني" ومكتبة الإحسان بالشط

مقدمة

بسم الله الرحمان الرحيم والصلاة والسلام على اشرف المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم أما بعد :

تأثر الادب العربي في عمومه منذ العصر العباسي بعدة عوامل دينية واجتماعية ومن ابرزها وأكثرها حضورا وتجل تيار التصوف ، الذي افرز جملة من الشعراء ومن اشهرهم الحلاج الذي كرس شعره لتأمل الصوفي والفلسفي ، وذلك يظهر من خلال ديوانه الذي اطلعنا عليه وعلى الدراسات المتعلقة به وقد اعترتنا عدة اسئلة تتعلق بالحلاج كشخصية مآثر في الأدب الغربي عموما والشعر الصوفي خصوصا ، فمن هو الحلاج ؟ وما هو مذهبه في الشعر وما هي شطحاته الصوفية ؟ وما المصطلحات الصوفية التي استخدمها ؟ وما المقامات التي ترقى لها و وظفها في شعره وقد دفعنا الى البحث والتعمق في شعر الحلاج.

الاطلاع والإعجاب بالشعر الصوفي من جهة، ورغبة المساهمة ولو بالتعليل. في عمق الدراسات الادبية العربية من جهة اخرى .

كما اتبعنا في بحثنا الخطة التالية احتوت على مقدمة وفصلين وملحق فيه حياة الشاعر الحسين بن منصور الحلاج وخاتمة حيث قسمنا الفصل الاول بعنوان الحلاج والتصوف ومفهومه ومعانيه ونشأته، اما القسم الثاني فقد خصصناه لدراسة مصطلحات ومقامات التصوف بدء بتعريف المصطلح الصوفي ومقامات الصوفية.

اما الفصل الثاني قسمناه الى قسمين الاول خصصناه لعرض وتحليل المصطلحات والثاني الى مقامات الصوفية من خلال ديوان الحلاج عرضا وتحليلا وانهينا هذا البحث بخاتمه تناولنا فيها اهم النتائج المستخلصه من هذه الدراسة . وقد اعتمدنا اثناء دراستنا لهذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي للوقوف على وصف المصطلحات والمقامات الصوفية وتحليلها من خلال شعر الحلاج .

وككل بحث في مجال الادب وككل باحث مبتدئ لابد من وجود بعض العراقيل التي حولنا التغلب عليها كصعوبة فهم التجربة الصوفية والمقامات التي ترقى لها الحلاج، لان مثل هذه الاشياء تجرب اكثر من انها تقال، وكذلك صعوبة المصطلحات الصوفية المتشابه المعمقة .

ولما كان البحث يتناول المصطلحات والمقامات في التصوف الاسلامي كان لزاما الاستعانة بجملة من المصادر والمراجع اهمها ، القرآن الكريم والسنة النبوية ، والرسالة القشيرية للقشيري والتعرف لمذهب اهل التصوف للكلاباذي وديوان الحلاج لمحمد باسل عيون السود .

وإذا كان لابد من ختام لهذا الابتداء فسوف يكون بالشكر الخالص والتقدير للأستاذ القدير (عبد الرشيد هميسي) الذي كان خير استاذ ومثابة أخ، فتحية كبيرة له .

وفي الاخير نسال الله العلي القدير السداد والتوفيق، ونتمنى اننا قد زرعنا ولو بذرة يمكن للطلبة الاعتناء بها وسقيها بماء الجد والاجتهاد، وإحاطتها بالرغبة في الاطلاع والوصول الى الافضل .

الفصل الأول

أولا: في التصوف:

1- مفهوم التصوف:

أ- لغة:

تعرّف القواميس والمعاجم العربية التصوف على أنه: " التصوف من الصوف، والصوف للضأن وما أشبه.

الجوهري: الصوف للشاة والصوفة أخص منه. بن سيدا: الصوف للغنم كالشعر للماعز والوبر للإبل والجمع أصواف، وقد يقال: الصوف للواحدة على تسمية الطائفة باسم الجميع. حكاه سيبويه"[1].

قال أبو عبد الرحمان الخليل بن احمد:" التصوف للضأن وشبه وزغبات القفا تسمى صوفة القفا والصوفانة بقلة رعناء قصيرة، وصوفة اسم حي بن تميم، وآل صوفان الذين كانوا يجيزون الحجاج من عرفات[2].

ب- اصطلاحا: أن التصوف "MYSTIK" يوصف بأنه أكبر تيار روحي يسري في الأديان جميعها وبمعنى أشمل يمكن تعريف التصوف بأنه إدراك الحقيقة المطلقة، سواء سميت هذه الحقيقة "حكمة" أو "نور" أو "عشق" أو "عدم"[3]

وقال الشيخ زروق:" وقد حدّ التصوف ورسم وفسّر بوجوده تبلغ نحو الألفين مرجع كلها لصدق التوجه إلى الله تعالى هي وجوه فيه"[4].

والتصوف كله أدب، لكل وقت أدب ولكل حال أدب ولكل مقام أدب، فما لزمه الأدب بلغ مبلغ الرجال ومتى حرّم الأدب فهو بعيد من حيث يظن القرب ومردود من حيث يرجو القبول.

ويقول ابن عربي:

إنّ التصوف تشبيه بخالقنا لأنّه خلق فانظر ترى عجبا[5].

---

[1] – لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، المجلد 9، ط:1، ص:199. {مادة ص و ف }.

[2] – كتاب العين، أبو عبد الرحمان الخليل بن أحمد الفراهيدي ، دار الرشيد للنشر، وزارة الثقافة والإعلام البلد ت: مهدي المقزومي وإبراهيم السامرائي، د ط سنة:1984م، ص: 167/161.

[3] – الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف، أنماري شميل، ت: محمد إسماعيل، منشورات الجمل،ط:1، بغداد، 2006م، ص:7.

[4] – قواعد التصوف، أحمد بن أحمد، البرنسي المغربي، ت: محمود درويش، دار البيروتي سوريا، دمشق،ط:1، سنة: 1424هـ، 2004م، ص:13.

[5] – الأدب في التراث الصوفي، محمد عبد المنعم خفاجة، مكتبة غريب، القاهرة، د.ط، د ت، ص:32.

أمّا الكلاباذي فإنه أراد أن يختصر الكلام في تحديد معنى التصوف، نطوف بالقارئ في آفاق بعيدة واسعة سعة آفاق التصوف نفسه، قال :" وجميع المعاني من التخلي عن الدنيا وعزوف النفس عنها، وترك الأوطان ، ولزوم الأسفار ومنح النفوس حظوظها وصفاء المعاملات وحقوق الأسرار وانشراح الصدور"[1].

والتصوف هو عبارة قصد طريق طائفة مخصوصة سمّوا بالصوفية يتلبس بها، فقيل فيه:" إنّ من باب تفعل، إذا دخل في الفعل كقولك تقمص، إذا لبس القميص"[2].

التصوف:" وهو العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والأعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق في الخلوة والعبادة[3].

ومن الباحثين المحدثين الذي أورد تعريفا عاما للتصوف الدكتور طلعت غنام في كتابه (أضواء على التصوف)، إذ يقول:" يرى المسلمون أن المقصود بالتصوف في عمومه: هو السير في طريق الزهد والتجرد عن زينة الحياة الدنيا وتشكلياتها، وأخذ النفس بأسلوب من التقشف وأنواع من العبادة والأوراد، والجوع ، السهر في الصلاة، أو تلاوة أوراد حتى يضعف في الإنسان الجانب الجسدي ويقوى فيه الجانب النفسي والروحي، فهو إخضاع الجسد للنفس بهذا الطريق المتقدم سعياً إلى تحقيق الكمال الأخلاقي للنفس كما يقولون[4]، وإلى معرفة الذات الإلهية وكمالاتها، وهم ما يعبرون عنه بمعرفة الحقيقة[5].

التصوف هو الالتزام بصفاته الحميدة التي أوردتها الأديان في رسالتها وهو دوام العمل للوصول إلى الحق على حال لا يعلمها الا الحرق[6].

[1] – التصوف الإسلامي بين الأصالة والاقتباس، عبد القادر أحمد عطا، دار الجيل بيروت، ط1، سنة:1407هـ، 1987م، ص:185.

[2] – الموفي بمعرفة التصوف والصوفي، كمال الدين أبي الفضل، ت: محمد عيسى صالحية، مكتبة دار العروبة، مصر ،ط:1، 1408هـ/1988م،ص:34.

[3] – المقدمة، ابن خلدون، نقلا عن، عمر فروخ، التصوف في الإسلامي دار الكتاب العربي، بيروت، ص:19.

[4] – الصوفية في نظر الإسلام، دراسة وتحليل، عاطف الزين، دار الكتاب اللبناني، ط:3، 1405هـ/ 1985م، ص: 26.

[5] – المرجع نفسه، ص: 26.

[6] – بين الصوفية وعلماء الكلام، جلال الدين الرومي، ت: عناية الله أبدلا غ الأفغاني، الدار المصرية اللبنانية، ط:1، سنة: 1407/ 1987م، ص:37.

قال الجنيد:" التصوف حفظ الأوقات قال: وهو أن لا يطالع العبد غير حده ولا يوافق غير ربه، ولا يقارن غير وقته"[1].

قال ذو النون المصري 245هـ:" الصوفي هو من إن نطق كان كلامه عين حاله، فهو لا ينطق بشيء إذا كان هو ذلك الشيء، وإذا أمسك عن الكلام عبرت معاملته عن حاله وكانت ناطقة بقطع العلائق عن حاله"[2].

ونستنتج من خلال عرضنا لهذه التعاريف المتنوعة أن التصوف هو الامتثال لله والخشوع له في كل حركة وسكينة، واستحضار رقابة الله عز وجل، وهو مذهب يقوي الإيمان ويشتغل على مستوى القلب.

[1] – موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، رفيق العجم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط:1، 1999، ص:178.

[2] – التصوف الإسلامي، الطريق والرجال، فيصل بدير عون، مكتبة سعيد رأفت، جامعة عين شمس، د.ط، سنة: 1983ص:20.

2- معاني مصطلح التصوف:

عني القدماء والمحدثون على السواء بالبحث في اشتقاق كلمة " تصوف" ونظروا فيما يتعلق بأصالة هذا المصطلح من الناحية الدينية.

اختلفت في إطلاق هذا الاسم عليهم فقالت طائفة:" إنّما سميت الصوفية، صوفية لصفاء أسرارها ونقاء آثارها". وقال معروف الكرخي (ت: 200هـ):" الصوفي من صفت لله معاملته فصفت له من الله عز وجل كرامته"[1].

قال أبو الفتح البستي رحمه الله تعالى:

تنازع الناس في الصوفي واختلفوا وظنه البعض مشتقا من الصوف

ولست أمنح هذا الاسم غير فتى صفا فصوفي حتى سمي الصوفي.

ومنهم من قال: (من الصفة، لأنّ صاحبه تابع لأهلها فيما أثبت الله لهم من الوصف) حيث قال تعالى:" واصبر نفسك مع الذين يدعون ربّهم ....." { الكهف: 28}.

وأهل الصفة هم الرعيل الأول من رجال التصوف، فقد كانت حياتهم التعبدية الخالصة المثل الأعلى الذي استهدفه رجال التصوف[2].

وقيل من (الصَّفرة) كما قال الإمام القشيري، وقيل من (الصَّف) فكأنّهم في الصف الأول بقلوبهم من حيث

حضورهم مع الله تعالى، وتسابقهم في سائر الطاعات، ومنهم من قال: إنّ التصوف نسبة إلى لبس الصوف الخشن، لأنّ الصوفية كانوا يؤثرون لبسه للتقشف والإخشيشان)[3].

كما نسب بعض المؤرخين هذه الكلمة " التصوف" إلى صوفة اسم رجل عابد في الجاهلية واسمه بالضبط "الغوث بن عامر" فأنسب الصوفية إليه للتشابه.

---

[1] –كفاية المنصف في فهم التصوف، محمد إبراهيم محمد السالم، مطبعة حمادة بقويسنا، القاهرة، مصر، د.ط، د.ت، ص: 97.

[2] – حقائق عن التصوف، لسيدي الشيخ عبد القادر العيسي . رحمه الله– (موقع الطريقة الشاذلية)، حلب، ط:4،5، سنة: 1381هـ/ 1961م، ص: 10/9.

[3] المرجع نفسه ، ص:10.

أما المستشرق "مركس" فيقول :" أنّ صوفة اسم قبيلة عربية عرفت بالاستغراق في حب الله، وليست اسم شخص، ويقول ابن الجوزي في روايته:" إنّهم قوم في الجاهلية يقال لهم " صوفة" انقطعوا إلى الله وقطنوا مكة، فمن تشبه بهم فهم الصوفة"[1].

كما أقرّ بعض المؤرخين إرجاع كلمة التصوف إلى بني صوفة هؤلاء هم أولاد الغوث بن مرّ الملقب "بصوفة" وبالربيط، وذلك أنه أمه كانت قد نذرت وكان لا يعيش لها ولد، لئن عاش لتربطن برأسه صوفة، ولتجعلنه ربيط الكعبة ففعلت وقدمته خادما للبيت، فعرف بالربيط، وكان يقوم على خدمة الكعبة وولده من بعده وقال فيهم مرّة بن خليف الفهمي وهو شاعر جاهلي قديم:

إذا ما أجازت صوفة النقب من منى ولاح قنار فوقه سفع الدم[2].

ويستخلص من مجموع هذه الآراء وغيرها أن التصوف مشتق من الصفوة لأنهم صفو الخلق واوصافهم قلوبا وسرائر، أو أنّه مشتق من الصّف –بفتح الصاء– أو الصُفة بضمها أو الصِفة بكسرها أو من صوفة القبيلة الجاهلية والراجح أنّه مشتق من الصوف لأنّ اللباس الظاهر الذي كان يميز الصوفية في ذلك العهد وسُمُّوا بظاهرهم.

[1] – التصوف مشكاة الحيران، عبد الحميد الجوهري، إفريقيا الشرق، دار البيضاء، د.ط، سنة: 1996م، ص:7.

[2] – تأويل الشعر وفلسفته عند الصوفية، أمين يوسف عودة، جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع، عمان ،الأردن، ط:1، سنة: 1428هـ/2008م، ص:8.

3- نشأة التصوف:

أرسل الله سبحانه وتعالى الرسل والأنبياء، وأنزل الكتب على خلقه تبيانا لهم وتفصيلا لما فيه صلاحهم في معاشهم ومعادهم ثم جعل سبحانه وتعالى من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وإنزال القرآن الكريم قائمة لهذه المهمة المباركة في توجيه الخلق ورعايتهما فجاء الإسلام بالحنيفة السمحة والمنهج الوسط بين الأديان والرسالات يمارس الإنسان في ظل هذا الدين فطرته الخلقية وغزارته وشهواته التي أودعها الله سبحانه وتعالى فيه مع إحياء وتنمية الجانب الروحي فيه، فالإسلام منهج اعتدال وتوسط في جميع الأمور وتكامل لا نقص فيه.

إنّ أيَّ ظاهرة اجتماعية لا يتسنّى فهمها إلاّ في ضوء الظروف السياسية والدينية والاقتصادية المختلفة التي أهلت إلى نشوء هذه الظاهرة وتطورها، ومن ثم كان اهتمام علماء العرب المسلمين والمستشرقين بتحديد العوامل التي كانت وراء نشأة التصوف ولكثرة ما شاب التصوف من عناصر غريبة عن الإسلام منها الهندي والفارسي والمسيحي، فقد أدّى ذلك إلى اعتقاد البعض من العرب والمستشرقين أنّ نشأة التصوف ومصدره يرجع إلى هذه العناصر الدخيلة على الإسلام وغيرها من العوامل الخارجية بعيدة الصلة عن الإسلام وفريق آخر يقول أنّ تاريخ التصوف في الإسلام جزء لا يتجزأ من تاريخ الإسلام نفسه ومظهر من مظاهره وما أحاط به من ظروف وما دخل فيه من شعوب وليس شيئا مجتلبا من الخارج دون أن يكون له صلة بالدين الإسلامي وروحه وتعاليمه[1].

فمن الذين يؤمنون بأصالته ويرجعونه إلى الإسلام نجد الصوفي عبد القادر أحمد عطا يزعم أن التصوف أصيل في الإسلام وأنّه يضرب بجذوره إلى أهل الصفة وأنّ عناصر التصوف تعود إلى رسالات الرسل جميعا ثم ذكر آيات كثيرة يزعم أنّها شواهد قرآنية تدل على أصالة التصوف وذكر أن خلوة الرسول صلى الله عليه وسلم في غار حراء تؤكد هذه الأصالة[2].

وقد روي عن سفيان الثوري أنّه تكلم به، وبعضها يذكر ذلك عن الحسن البصري، وأمّا القول القائل: إنّه محدث أحدثه البغداديون، فمحال لأن في وقت الحسن البصري رحمه الله كان يعرف هذا الاسم، وكان الحسن قد أدرك جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم، وقد روى عنه انّه قال: رأيت صوفيا في الطوف فأعطيته شيئا فلم يأخذه وقال معي أربعة دوانيق يكفيني ما معي[3]

[1] – التصوف في مصر والمغرب، نال عبد المنعم جاد الله، منشأة المعارف بالإسكندرية، د،ط، د،ت، ص:120.

[2] – التصوف الإسلامي بين الأصالة والاقتباس، عبد القادر أحمد عطا، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط:1، 1407هـ/ 1987م،ص: 187.

[3] – التصوف المنشأ والمصادر، إحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السنة، ط:1، سنة: 1406هـ/ 1946م، ص: 40.

وهناك فريق بحث في نشأة التصوف، صوفيون أو متعاطفون معهم ردوا التصوف إلى صميم الإسلام من الكتاب والسنة وسيرة الصحابة.

كما ادّعى فريق من الباحثين أنّ الصوفية نسبة إلى أهل الصُفة وهم جماعة من أصحاب النبي صلى الله عليه هاجروا إلى المدينة فلم يجدوا مكانا يجمعهم فاجتمعوا في الصفة[1]. والصفة: هو الموضع الظليل في المسجد.

فمن الذين كتبوا في تاريخ التصوف وفكره قديما وحديثا، اختلفوا في مبدئهم من الناحية التاريخية وفي مكان نشأته أيضا[2]، وعلى إثر ما عرضناه سابقا نجد أقوالا ترجع التصوف إلى غير الإسلام كما ينص الإمام ابن الجوزي رحمه الله أن اسم التصوف قد ظهر قبل سنة 200هـ[3]. ويقول شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله أنّ لفظ الصوفية:" لم يكن مشهورا في القرون الثلاثة، وإنّما اشتهر التكلم به بعد ذلك". ويقول رحمه الله أنّه في أثناء المائة الثانية من الهجرة، عبّر البعض عن الزهد بالتصوف وأطلقت كلمة صوفي على بعض المتزهدين لأنّ لبس الصوف قد كثر فيهم[4].

فذكر بن تيمية وسبقه ابن الجوزي في أنّ لفظ الصوفية لم يكن مشهورا في القرون الأولى وإنّما اشتهر التكلم به بعد ذلك، وقد نقل التكلم به عن غير واحد من الأئمة والشيوخ كالإمام أحمد بن حنبل وأبي سليمان الداراني وغيرهما.

ونقلنا هنا كلام مستشرق خدم التصوف ونشر مؤلفاتهم القديمة حيث يقول :" والظاهر أنّ استعمالها قد شاع آخر القرن الثاني الهجري، أي في عصر الانتقال من دور الزهد إلى دور التصوف الحقيقي ولا عبرة بالأخبار الضعيفة التي يراد الدلالة بها على أنّ الكلمة كان لها وجود في عصر النبي صلى الله عليه وسلم أو قبل الإسلام فإنّ متصوفة القرنين الثالث والرابع الذين اعتبروا أنفسهم الورثة الروحيين للنبي صلى الله عليه وسلم لم يترددوا في اصطناع الأدلة التي تؤيد دعواهم....."[5].

---

[1] – مع الله في التصوف والمتصوفين، محمد فتحي حافظ قوره، مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع، ط:1، سنة: 1998، ص:25.

[2] – العلاقة بين التشيع والتصوف، رسالة دكتوراه الطالب فلاح بن إسماعيل بن أحمد، إشراف الشيخ: عبد الله بن محمد الغنيمان، الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، سنة: 1411هـ ،ص: 86.

[3] – تلبس إبليس، عبد الرحمان ابن الجوزي، ت.د، الجميلي، دار الكتاب العربي بيروت، ط:3، سنة: 1409هـ/ 1989م، ص:201.

[4] – مجموع فتاوى شيخ الإسلام بن تيمية، جمع وترتيب بن القاسم وابنه محمد، طبع بإشراف الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين، السعودية، د.ط، د.ت،ص:5.

[5] – التصوف الإسلامي ، رينولد ليكلسون، ت: نور الدين شريبة، مكتبة الخانجي، مصر،د.ط، 1371هـ/ 1951م،ص: 68.

كما أنّ أهل السلف عدوه دخيلا غريبا عن الإسلام، واستدلوا على ذلك أنّه لم يكن في صدر الأول من تاريخ الإسلام وإنّما في القرن الثاني وما بعده وإنّ كان الفريق الأول قد خلط بين الزهد والتصوف حين أرجع التصوف إلى العهد الأول للإسلام فإنّ تأخر ظهور التصوف لا يعني بالضرورة أنّه بدعة مستحدثة وأنّه من نشر الأمور[1].

والحاصل مما تقدم أنّ التصوف أطلق على بعض الأفراد في أثناء القرن الثاني من الهجرة ولكن اشتهار اللفظ والتوسع فيه لم يكن إلا بعد انقضاء القرون الثلاثة الأولى، فالتصوف لم يعرف في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام رضي الله عنهم ولا في زمن التابعين وأتباعهم رحمهم الله.

ومما نستخلصه أنّ مبدأ نشأة التصوف كان محل خلاف فهناك من قالوا أنّه من صميم الإسلام وآخرون قالوا أنّه دخيل على الإسلام فالنشأة الأولى للتصوف كانت إسلامية عربية خالصة ولكن داخل التصوف العنصر الأعجمي وبعض الفلسفات الشرقية وكذلك الثقافات ، لكن الجزء الأعظم فيه هو إسلامي.

[1] – التصوف إيجابياته وسلبياته، أحمد محمود صبحي، دار المعارف، القاهرة، د.ط، د.ت، ص: 19.

ثانيا: في مصطلحات ومقامات التصوف

1- المصطلح الصوفي:

إن لهذه الطائفة الشريفة ألفاظا قد انفردوا بها عن سواهم، لها معان جليلة ومقاصد كريمة استعملوها للكشف عن معانيها لأنفسهم وسترها عن مخالفهم وهي معان غامضة على غيرهم ممن باينهم وذلك غيرةً منهم على أسرارهم أن تشيع غي غير أهلها وهي معان لها أسرار أودعها الله في قلوبهم وها نص ننقل بعض المصطلحات الخاصة بالتصوف:

المرُيد: هو المتجرد عن إرادته[1]، ومن صفاته العزلة وهي أن يعتزل المريد كل صفة مذمومة وكل دنيء، والصمت فهو أن لا يتكلم مع مخلوق من الوحوش والحشرات التي لزمته في سياحته أو موقع عزلته، أمّا الجوع فهو التقليل من الطعام، فلا يتناول منه إلا قدرها يقيم صلبُه لعبادة ربه في صلاة فريضة أمّا السهر فإن الجوع يولده لقلة الرطوبة الجالية للّدم ولاسيما شرب الماء، وفائدة السهر التيقظ للانشغال مع الله.

فالمريد في الحقيقة والمراد مريد، لأن المريد لله تعالى لا يريد إلا بإرادة من الله عز وجل تقدمت له.

قال الله تعالى: "يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونه"[2]، فكانت إرادته لهم سبب إرادتهم له، إذ عله كل شيء صنعه ولا علة لصنعه، ومن أراده الحق فمحال أن لا يرده العبد فجل المريد مرادًا أو المراد مريدًا، غير أن المريد هو الذي سبق اجتهاده كشوفه، والمراد هو الذي سبق كشفوه اجتهاده فالمريد هو الذي قال تعالى: "الّذينَ جَاهَدُوا فينَا لَنَهْدِيَنّهُمْ سُبُلَنَا"[3]، وهو الذي يريده الله تعالى فيقبل بقلبه، ويحدث فيه لطفا يثير من الاجتهاد فيه والإقبال عليه والإرادة

[1] – الأدب في التراث الصوفي، محمد عبد المنعم، خفاجي، مكتبة غريب شارع كامل صدقي، د ط، د ت، ص24.

[2] – سورة المائدة، الآية 54.

[3] – سورة العنكبوت، الآية 59.

عليه ثم يكاشفه الأحوال[1]، والمريد يمكن أن نلخص خطوته نحو الطريق في ثلاث تبدأ بالتوبة، قال تعالى: "وتوبوا إِلَى الله جَمِيعًا أَيُّهَا المؤْمنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلحُونَ"[2]، والخطوة الثانية أخذ العهد من الشيخ بطاعة الله ورسوله والسير في الطريق والخطوة الثالثة هي التلقين، وهي تعليم الشيخ كيفية[3] الذكر نطقا ويتجدد التلقين كل ما قطع المريد مرحلة من مراحل القرب إلى الله.

التجلي: هو الظهور والتجلي بالأسماء الإلهية يكون لكل على قدر مرتبته للفرد الجامع هو المحيط لجميع ذلك، والعارف يري في نفسه أن ليس ثم غيره يتجلى بتلك الأسماء والصفات إلا هو.

السر: وهو غيب من غيوب الله لا تعرف ماهيته ولا تدرك وحكمه أن يكون العبد في كل حال لا يتحرك إلا الله، ولا يمكن يسكن إلا الله ولا يقع فيه شيء من مخالفة للشرع أصلاً لكمال طهارته.

الحقيقة: هي الوجود المطلق الذي يسمى عن الطمس والعمى فلا شبه فيه ولا توهم ولا تعقل ولا أين ولا كيف ولا رسم ولا وهم قد انعدمت النسب كلها[4].

الخواطر: الخواطر سبعون ألف خاطر تخطر كل يوم على القلب حتما لا يتخلف منها واحد، لأن القلب مثل البيت المغمور، كما أنه كل يوم يدخله سبعون ألف خاطر وجميعها مقسومة على أربعة أقسام بالنسبة للقلب المحجوب فقسم منها يلبسه الشيطان عند دخوله القلب ويلقي له من وساوسه وقسم تلبسه النفس، وقسم يدخله معه الملك وقسم لا يدخل معه شيء.

[1] – التعرف لمذهب أهل التصوف، أبي بكر محمد بن إسحاق الكلاياذي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1413هـ، 1993م، ص158.

[2] – سورة النور، الآية 31.

[3] – الطرق الصوفية في مصر نشأتها ونظمها وروادها،عامر النجار، دار المعارف، ط5، د ت، ص26.

[4] – قاموس المصطلحات الصوفية، دراسة تراثية (مع شرح اصطلاحات أهل الصفاء من كلام خاتم الأولياء)، أيمن حمدي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د ط، 2000م، ص49، 53، 55.

الروح: وهو أن يكاشف بحقيقتها وماهيتها كشفا حسيا، حيث لا يخفى عليه جُملتها وتفصيلتها[1] شاذًو فإذا وهي حضرة ورود الاصطلاح سكرًا وصحوا ومحقًا.

الذكر: إذا انفتحت في قلب العبد يكون أبدًا منفردًا عن وجوده غائبا عن شهوده، ويسمى عند السالكين ذهولاً عن الأكوان، وطمأنينة القلب بذكر الله، فأدنى مراتبه أن ينس ما دونه، وأعلاه هي أعلى مراتب الإصطلام وأعلى مراتب الإصطلام أن يشهد نفسه عين ذلك للوجود وهو المعبر عنه بالسحق والمحق، وحقيقة الإصطلام أوله ذهول الأكوان وهو المعبر عنه بالسكر ووسطه فناء الأكوان مع علمه بفنائه وأعلاه فناء عن الأكوان وفناؤه عن فنائه[2].

مصطلح الوجد: هو ما صادف القلب من فزع، أو غمّ، أو رؤية معنى من أحوال الآخرة، أو كشف حالة بين العبد والله عز وجل[3]، قال تعالى: "تقشعر منه جلود الذيَنَ يَخشونَ رَبَّهم ثمَّ تلينُ جُلُودهُمْ وقُلوبهم إلى ذكر الله"[4]، قال النوري: " الوجد لهيب ينشأ في الأسرار عن الشوق فتضطرب الجوارح طربا أو حزنا عند ذلك الوارد".

وقالوا :" الوجد مقرون بالزوال ، والمعرفة ثابتة بالله لا تزول"[5].

2- مقامات الصوفية:

أ – تعريف المقامات:

لغة: قام يقوم قو ما قيا ما وقومة وقامة وقام: أي ثبت ولم يبرح ومنه قولهم: أقام بالمكان وهو بمعنى الثبات ويقال قام الماء، إذا ثبت متحيرًا لا يجد منفذا، وإذا جمد أيضّا والمقام والمقامة: الموضع الذي تقيم فيه المقامة بالضم: الإقامة وأما المقام والمقُام، فقد يكون كل واحد منها بمعنى الإقامة وقد يكون بمعنى موضع القيام لأفك إذا جعلته

[1] – قاموس المصطلحات الصوفية، مرجع سابق، ص52.

[2] المرجع نفسه، ص62.

[3] – التعرف لمذهب أهل التصوف، أبي بكر محمد بن إسحاق الكلاياذي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1413هـ، 1993م، ص132.

[4] – سورة الزمر: الآية 23.

[5] – التعرف لمذهب أهل التصوف، مرجع سابق، ن ص.

من مقام، يقوم مفتوح وإن جعلته من أقام يقيم عن ضموم فإن الفعل إذا جاوز فالموضع مضموم لأنه مشبه ببنات الأربع[1] ، ونحو قوله تعالى :"لا مُقَامَ لَكُمْ"[2].

أي لا موضع لكم وقرئ لا مقام لكم بالضم أي لا إقام لكم.

ب- اصطلاحًا:

يعني الصوفية بالمقام قيام العبد بين يدي الله عز وجل فيما يقام فيه العبادات والمجاهدات والرياضات والانقطاع إلى الله عز وجل[3]، وعرّف القشيري المقام فقال ما يتحقق به العبد بمنازلته (أي بنزوله فيه وبما اكتسبه له) من للآداب مما يتوصل إليه بنوع تصرّف ويتحقق به ضرب تطلّب ومقامات تكلّف ولا يكتسب المريد هذه المقامات دفعة واحدة بل عليه ألاّ يرتقي من مقام إلى مقام آخر، ما لم يستوف أحكام ذلك المقام، ويصل إلى درجة الكمال فيه[4].

أما الفرق بين المقام والحال فهو كالتالي:

فالأحوال مواهب والمقامات مكاسب

والأحوال تأتي من عين الجواد والمقامات تحصل ببذل المجهود، وصاحب المقام ممكن في مقامه، وصاحب الحال مُترف عن حاله: وأنشدوا:

لو لم تحُلْ ما سميت حـالا وكل ما حال فقد زالا.

انظر إلى الفيء إذا ما انتهـى يأخذ في النقص إذا طالا.

[1] – لسان العرب، لابن منظور، مادة قوم 400/15، ص508.

[2] – سورة الأحزاب، الآية13.

[3]– اللمع في التصوف، السراج الطوسي، القاهرة، د ط، 1960م، ص70،71.

[4] – الرسالة القشرية، القشيري عبد الكريم، ج1، طبعة القاهرة، 1330هـ، ص191.

مقام التوبة:

هو أول منزلة من منازل السالكين وأول مقام مقامات الطالبين المنقطعين إلى الله وتحديد التوبة :" انتبه القلب من رقدة الغفلة ورؤية العبد ما هو عليه من سوء الحالة[1].

فالتوبة إذا تتمثل في شكل هاتف يزور في الصحوا وفي المنام مصحوبا برؤية وجه جميل أو صوت رخيم والشعر يسجل حركة النفس عندما تلوح الإشراقة عن طريق التوبة الصادقة حين يتطّهر الظاهر والباطن ويمتلأ القلب بحب الله.

مقام الورع:

أو التقوى فهو ترك الشبهات والورع هو اجتناب الشبهات خوفا من الوقوع في المحرمات ومن ثمة فالورع أن يمتنع المريد عن كل حرام ويتعفف عن كل شبهة إذا تشابه الأمر عليه ولم يستطع أحد أن ينقذه من حيرته فليستفت قلبه وكلام الصوفية في المعرفة الحاصلة عن التقوى والتخلف والإلهام يرد إلى آيات مثل قوله تعالى:" واتَّقُواْ الله يُعَلِّمُكُمُ الله"[2] وقوله تعالى: "وَجَدَا عَبْدًا مَّنْ عبَادنَا آتَيْناهُ رَحْمَةً منْ عندنَا وَعَلَّمْنَاهُ من لّدُنَّا علْمًا"[3].

والورع مقام شريف كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم " ملاك دينكم الورع"[4]، وقال شيخنا يحي بن معاذ رحمه الله: "الورع هو الوقوف عند حد العلم من غير تأويل ولا قياس"[5].

[1] – اللمع في التصوف، السراج الطوسي، القاهرة، د ط، 1960م، ص70،71.

[2] – سورة البقرة، الآية 281.

[3] – سورة الكهف، الآية 64.

[4] – التصوف مشكاة الحيران، ت عبد الحميد الجوهري، مطابع إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، د ط، د ت، ص51.

[5] – جوهر التصوف، يحي بن معاذ الازي، ت سعيد هارون عاشور، مكتبة الآداب مكتبة الإسكندرية، القاهرة، د ط، د ت، ص80.

مقام المحبة:

هي الموافقة معناه: الطاعة له فما أمر، والانتهاء عما زجر، والرضا بما حكم وقد فيقول الحينيد:" المحبة ميل القلب" معناه أن يميل قلبه إلى الله وإلى نا بالله من غير تكلف فالحب سبب جمال الله، والعالم خلق ليقدم آيات الحب إلى الله وذلك هو سر الحياة الصوفية ويحبون الله لا خوف من ناره ولا طمعا في جنته بل يحبونه لذات الحب ولأنه أهل الحب.

إذن المحبة هي الغاية القصوى من المقامات والذروة العليا من الدرجات وهي لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم، كما قال تعالى: "والذين آمنوا أشد حب لله" فالحلاج يقول المحبة الآن قيامك مع محبوك يخلع أوصافك، لأن كلية المحب تطابق كلية المحبوب فغيبته غيبة.

محبوبة ووجوده وجوده، ويرى الإمام القشيري أنّ المحبة تعني "الإرادة"، فمحبة الله للعبد تعني أنه سبحانه أراد أن ينعم عليه، وهكذا تعددت الآيات والأحاديث التي تتناول محبة الله والرسول صلوات الله عليه مثل قوله تعالى: "يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ"[1]، وقوله أيضا: "وَأَقْسطُوا إنَّ الله يَحُبُ الْمُقْسطينَ"[2]، وغيرها من الآيات الدالة على محبة الرب لعبده، كذلك الحث على الأعمال التي يحبها الله من الواجبات والمستحبات.

مقام الزهد:

معناه ارتفاع الإنسان بنفسه فوق شهوتها وهذا معناه أن يتحرر تماما من كل ما يعيق حريته أن الصوفي إذا لم يحكم أساسه في الزهد لا يصح له شيء مما بعده، لأنّ حب الدنيا رأس كل خطيئة والزهد في الدنيا رأس كل خير وطاعة، ولم يرد الزهد في القرآن الكريم إلا مرّة واحدة وهي قوله تعالى: "وَشرَوْهُ بثمَن بَخْس دَرَاهمَ مَعْدُودَة

[1] – سورة المائدة، الآية 54.

[2] – سورة الحجرات، الآية 9.

وَكَانُواْ فيه منَ الزَّاهدينَ"[1]، ومن الأحاديث النبوية التي تحث على الزهد في الدنيا قوله صلى الله عليه وسلم: "الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر"[2]، وقوله "يقول العبد: مالي: إنّما له من ماله ثلاث: ما أكل فأفنى أو لبس فأبلى أو أعطى وما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس"[3].

فالزهد إذ ترك الدنيا وعدم المبالاة بمن أخذ بها وله في الحرام واجب وفي الحلال واجب[4].

مقام التوكل:

فقد ذكره الله تعالى في مواضع من القرآن العظيم يقول: "وَمنَ يتوكل على الله فهو حسبه"[5]، أي حسبه الله من جميع خلقه وقال تعالى: "وَعلى الله فَلْيَتَوَكَّل المؤْمنُونَ"[6]، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم: "لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا".

وقال الحسن البصري: "من توكل وقنع رضي أتاه الشيء بلا طلب"[7]، وقال شري السّقطي: "التوكل الانخلاع من الحول والقوة" وقال بن مسروق "التوكل الاستسلام لجريان القضاء في الأحكام" وقال سهل[8]" التوكل الإسترسال بين يدي الله تعالى"، وكل هذه المعاني وغيرها ممّا يجرى مجراها – تدور على محور واحد هو ثقة القلب بوعد الله لخلقه أنه كافيهم على النحو الذي فيه مصلحتهم وهي تعريفات يقصد منها حد التوكل حدًا عاما[9].

[1] – سورة يوسف، الآية 20.
[2] – سنن الترميذي، أبي هريرة، حديث رقم 2246.
[3] – صحيح مسلم: أبي هريرة، حديث رقم 5259.
[4] – الفلسفة الإسلامية وأعلامها، يوسف فرحات، الشركة الشرقية للمطبوعات، ط1، سنة 1986 م، ص49.
[5] – سورة الطلاق، الآية 03.
[6] – سورة آل عمران، الآية 122.
[7] – مقدمة في التصوف، أبي عبد الرحمان السلمي، ت ، يوسف زيدان، دار الجبل، بيروت، ط1، 1419هـ، 1999م، ص35.
[8] – التعرف لمذهب أهل التصوف، الكلاباذي، أبو بكر محمد، ت، محمد أمين النوري، ط2، مكتبة الأزهرية القاهرة، 1980م، ص118- 119.
[9] – تجليات الشعر الصوفي، أمين يوسف عودة، قراءة في الأحوال والمقامات، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2001، ص23-24.

مقام الرضا:

هو سرور القلب بمر القضاء كما قال سهل:" إذا اتصل الرضا برضوان والطمأنينة، فطوبى لهم وحسن مآب".

فالرضا في الدنيا تحت مجاري الأحكام يورث الرضوان في الآخرة بما جرت به الأقلام[1].

قال الله تعالى:" وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين"[2] فهو قول الفريقين من أهل الجنة والنار من الموحدين من أهلها إن المشركين لا يؤذن لهم في الحمد لأنهم محجوبون.

كما ان الرضا هو الخضوع للمشيئة الإلهية خضوعا تاما .

كما قال رويم: الرضا استقبال الأحكام بفرح ويقول ابن عطا الرضا نظر القلب إلى قديم اختيار الله للعبد فإنه اختار له الأفضل.

كما أنشدونا لنوري:

إنّ الرضا لمرارات تجرفها عن القنوع اذا ما استعذب الكدر

عواقب أشهدت بعض الحضور فما يرعى التكثر إلى ناقة نزر[3]

[1] التعرف لمذهب أهل التصوف، أبي بكر محمد ابن إسحاق الكلاباذي، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، بيروت للبنان، ط01، سنة 1413هـ، 1993م، ص120.

[2] سورة الزمر الآية75.

[3] المرجع السابق، ص 121.

الفصل الثاني

مصطلح المريد :

هو الرامي بأول قصده إلى الله ، فلا يعرج حتى يصل ، لما انه الخارج عن اسباب الدارين اثره بذلك على اهلها.[1]

يقول الحلاج :

حنين المريد بشوق مريد انين المريض لفقد الطبيب

قد اشتد حال المريدين فيه لفقد الوصال وبعد الحبيب.[2]

فمن خلال هذه الابيات اراد الحلاج ان يقول ان شوق وحب المريد وصدق عمله لرؤية الله عز وجل والفوز بجناته فبمجرد حنينه وحبه لله يزيد شوقه له وشبه حب المريد لله بأنين المريض حين يشتد مرضه ولا يجد الطبيب لذلك ذكر الشيخ الاكبر محي الدين ابن عربي : اصطلاحات القوم يدركها المريد الصادق بذوقه، لا يحتاج في ادراك معانيها الى تمام على عكس الاصطلاحات الفلسفة والرياضية وقد اوضح ابن عربي ان هذا الخاصية دلالة على صدق المريد[3] .

[1] انظر ، الرسالة القشيرية ، القشيري عبد الكريم، ج1، طبعته القاهرة ،سنة 1330 هـ ص73.

[2] ديوان الحلاج ، محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، ط 2 ، سنة 1423 هـ 2002 م ص138 .

[3] قاموس المصطلحات الصوفية ، دراسة تراثية مع شرح إصطلاحات أهل الصفاء، أيمن حمدي، دار قبى للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دط، سنة2000م، ص11.

مصطلح التجلي :

فهو ما يظهر للقلوب من انوار الغيوب قال سهل " التجلي على ثلاثة احوال : تجلي ذات وهي المكاشفة والتجلي صفات الذات وهي موضع النور، والتجلي حكم الذات وهي الاخرة وما فيها ."[1]

وهذا من خلال قول الحلاج :

عقد النبوة مصباح من النور معلق الوحي مشكاة تامور

بالله ينفخ نفخ الروح في خلدي لخاطري نفخ اسرافيل في الصور.[2]

ان الاصطفاء الذي يكون من الله للنبي صلى الله عليه وسلم في اضاءته عوالم الذات المتلقية للوحي بالمصباح المنير والوحي بأنواره ضياء تامور القلب ، ينفخ الله بكلماته العظيمة في النفس من وحيه فيحدث في الروح يقظة وانتباها تماما كلحظة نفخ اسرائيل في الصور يوم القيامة فاذا الناس كلهم منتبهون (مبعوثون) .

وهناك مقولات دالة على ذلك منها :

قال النبي صلى الله عليه وسلم : " اعبد الله كأنك تراه " وكشوف العيان في الاخرة ، ومعنى قوله :" تجلي صفات الذات وهي موضع النور" وهو ان تتجلى له قدرته عليه فلا يخاف ، كفايته فلا يرجو سواه وكذلك جميع الصفات ، كما قال حارثة : " أو كأني أنظر إلى عرش ربي بارزا " كأنه تجلى كلامه في اخباره فصار الخبر له كالمعاينة .

[1] التعرف لمذهب اهل التصوف ، ابي بكر معهد اسحاق الكلاباذي ، دار الكتب العلمية ، للنشر والتوزيع ، بيروت لبنان ، ط 1 ، سنة 1413 هـ ، 1993 م ، ص 140

[2] ديوان الحلاج ، محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، ط 2 ، سنة 1423 هـ 2002 م ص 138 .

وتجلى حكم الذات يكون في الاخرة ، فريق في الجنة وفريق في السعير.[1]

مصطلح السر:

هو لطيفة لطيفة مودعة في القلب كالروح في البدن ، والنور روحاني هو الة النفس .

يقول الحلاج :

غبت وماغبت عن ضميري فمازجة ترحتي سروري

واتصل الوصل بافتراق فصار في غيبتي حضوري

فانت في سر الغيبي همي اخفي من الوهم في ضميري[2]

تؤنسني بالنهار حقا وأنت عند الدجى سميري

فمن خلال هذه الابيات نرى ان الحلاج رسم للسر في نفسه انه ضميره فهو كالروح في البدن فبنسب له مازجت فرحته فهو ضد الفرح تمازجت بالسرور فهو كالأنيس بالنسب له النهار

و عند الدجى اي سواد الليل هو سميره بمعنى الذي يشاركه الحديث في الليل خاصة ، يقول المولى عز وجل : "وعنده مفاتيح الغيب ليعلمها إلا هو "،[3] وقيل ايضا : "سر السر مالا يحس به السر " ، كما ورد عند القوم : حسب مواضعاتهم ومقتضى اصولهم : السر ألطف من الروح والروح اشر من القلب ويقتضي بأنها محل المشاهدة وهو في القلب .

[1] التعرف لمذهب اهل التصرف ، ابي بكر محمد اسحاق الكلاباذي ، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع ، بيروت لبنان ،ط1 ، 1413 هـ 1993 م ، ص 141 .

[2] ديوان الحلاج ، محمد باسل عيون سود ، دار الكتب العلمية ، ط2 ، سنة 1423 هـ ، 2002 م ، ص 139 .

[3] سورة الانعام ، الآية : 59.

ويطلق لفض السر على ما يكون مصونا مكتوما بين العبد والحق سبحانه ، في الاحوال ، و عليه يحمل قول من قال : اسرارنا بكر لم يقتضيها وهم واهم .[1]

مصطلح الخواطر :

قال بعض الشيوخ : الخاطر على اربعة اوجه : خاطر من الله عز وجل وخاطر من الملك و خاطر من النفس وخاطر من العدو ، فالذي من الله تنبيه والذي من الملك حث على الطاعة والذي من النفس مطالبة الشهوة والذي من العدو تزين المعصية .[2]

يقول الحلاج :

يا موضع الناظر من ناظري ويا مكان السر من خاطري

يا جملة الكل التي كلها أحب من بعض ومن سائري .

يفرق الحلاج هنا في إظهار صورة المحبوب " الله تعالى " وفي خطابة الصوفي ويبالغ في إطلاقاته حتى يجعله في صورة حسية التي نواها في حب البشر لبعضهم ، كما تتجه لغة الحلاج وعبارته الى نوع من الحسية التى تتجاوز المجرد فيتصور محبوبة بعضا من جوارحه المبصرة ، بل موضع سره ونجواه ، انه كل جزء من اجزئه المخلوقة .

بل انه احب وانفس من كل جوارحه بعض الاقوال في الخواطر ما فيه قربة او مخالفة او هوى وموافقة نفس فهو نفسانيا وإما شيطانيا والصادق الصافي القلب الحاضر مع الحق سهل عليه الفرق بين الخواطر بتيسير الله وتوفيقه.[3]

[1] انظر ، الرسالة القشيرية ، القشيري عبد الكريم ، ج 1 ، ط القاهرة ، سنة 1330هـ ، ص 75 ، 76 .

[2] التعرف لمذهب اهل التصوف ، ابي بكر محمد اسحاق الكلاباذي ، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنلن ، ط 1، 1413 هـ ، 1993م ، ص 104.

[3] الرسالة القشيرية ، القشيري عبد الكريم ، ، ص 72.

فبنور التوحيد يقبل من الله وبنور المعرفة يقبل من الملك وبنور الايمان ينهي النفس ، وبنور السلام يرد على العدو .[1]

وقال بعض المشايخ : ان نفسك لا تصدق وقلبك لا يكذب ، ولو اجتهدت كل الجهد ان تخاطبكم روحكم لم تخاطبك .

وقال اب عطاء الله : الثاني اقوى لأنه ازداد قوة بالأول[2].

[1] انظر ، التعرف لمذهب اهل التصوف ، ابي بكر محمد بن اسحاق الكلاباذي ،دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع ، بيروت ،لبنان ، ط 1 ، 1413هـ ، 1993 م ، ص 104.

[2] الرسالة القشيرية ، القشيري عبد الكريم ، ج 1 ، ط القاهرة ، سنة 1330هـ ،ص 72 .

مصطلح الوجد :

هو خشوع الروح عند مطالعة السر الحق

يقول الحلاج :

مواجيد حق اوجد الحق كلها وان عجزت عنها فهوم الاكابر

و ما الوجد إلا خضرة ثم نظرة تنسي لهيبا بين تلك السرائر [1]

أراد الحلاج أن يعرب عن مقدار ما تنشب في قلبه من حب الله تعالى حبا نقيا من الحق الذي لا يخالطه باطل لأنه في ذات الله العلية لا يدركها فهم من لم يرق الى ذالك الحب وإن كان من علية القوم ، هذا الحب المشوق ناشئ عن تذكر الله وتصور لعظم صفاته ترك أثرها في الناس انفعالا حارا في النفس .

من الاقوال التي تدل على ذلك :

هو سمع القلوب وبصرها ، قال الله تعالى: "لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور "[2]

فمن ضعف وجده تواجد ، والتواجد ظهور ما يجد في باطنه على ظاهره ، ومن قوى تمكن فسكن[3]

[1] ديوان الحلاج ، محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، ط 2 ، سنة 1423 هـ ، 2002 م ص 135 .

[2] سورة الحج ، الآية 36 .

[3] التعرف لمذهب أهل التصوف ، أبي بكر محمد بن اسحاق الكلاباذي ، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1413 هـ ، 1993م ص 132 .

و قالو : " الوجد مقرون بالزوال والمعرفة الثابتة بالله لا تزول "[1].

ويقول الحلاج في الوجد ايضا

تأمل الوجد وجد والفقد في الوجد فقد

والبعد لي منك قرب والقرب لي منك بعد

وكيف يثبت ثان وأنت ، يفرد .فرد [2].

مصطلح الحقيقة :

سلب اثار اوصافك عنك بأوصاف الله ، بانه الفاعل بك فيك من لا انت

يقول الحلاج :

تفكرت في الاديان جد محقق فالفيتها اصلا له شعب جما

فلا تطلبنا للمرء دينا ، فإنه يصد عن الاصل الوثيق ، وإنما

يصالبه اصلا يعبر عنده جميع المعالي والمعاني فيفهما

معناه ان النبوات كلها اسماء لحقيقة واحدة والفروع الاصل واحد والحقيقة أن لكل طائفة دينها ، وما اليهودية والنصرانية والإسلام وغير ذلك من الاديان إلا هم القاب مختلفة وأسام ومعاني متغيرة.

[1] التعرف لمذهب اهل التصوف ، المرجع السابق ص 132 .

[2] ديوان الحلاج محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، ط 2 ، سنة 1423م ص 129 .

مصطلح الذكر :

حقيقة الذكر ان تنسى ما سو ى المذكور في الذكر، وقيل :

الذكر طرد الغفلة ، فإذا ارتفعت الغفلة فأنت ذاكر وان سكت .

قول الحلاج :

اين موله لي لا الذكر ولهاني حاشا لقلبي ان يعلق به ذكرى

الذكر واسطة تخيفك عن نظري إذا توشحه من خاطر فكري [1]

كأن الحلاج قد ترقى الى مقام اخر ، فالذكر عن الناس هو الذي يذكرهم بالله اما الحلاج فلا يحتاج اليه فهو دائم التذكر عنده معيق لا محفز .

ومن شواهد الذكر في الكتاب والسنة :

قوله تعالى : << اذكر ربك اذا نسيت >>[2]

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : << سبق المفردون >> قيل ومن المفردون يا رسول الله ؟ ، قال : << الذاكرون كثيرا والذاكرات >> والمفرد الذي ليس معه غيره .[3]

[1] ديوان الحلاج ، محمد باسل عيون السود،ص 137 .

[2] سورة الكهف ، الآية 24

[3] التعرف لمذهب اهل التصوف ، ابي بكر محمد بن اسحاق الكلاباذي ، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1413 هـ ، 1993 م ، ص 122 .

مصطلح الروح :

الروح تقود الى الطريق الطريق وارد الى مصدره الاصيل .

قول الحلاج :

وجوده بي ، وو جودي به ووو صفه فهو له واصف

لولاه لم اعرف رشادي و لو لاي لما كان له عارف

فكل معنى فيه معنى له فقل عن خالفني خالفوا

ليس سوى الرحمان يا قومنا شئ له ارواحنا تالف [1]

يقصد الحلاج بقوله ان لا يستطيع ان يعيش من دون الله عز وجل فبدونه لا يعرف كيف يتصرف فهو يخالف الله ويتفق معه الروح من غير الله سبحانه وتعالى لا تالف لأحد فحث هذا القوم او الناس من اراد ان يخاطبهم ، وفي هذا يقول الله تعالى : << قل الروح من امري ربي >>[2]

فالأرواح مختلف فيها عند اهل التحقيق من اهل السنة ، فمنهم من يقول انها الحياة ومنهم من يقول انها اعيان مودعة في هذه القلوب

[1] ديوان الحلاج ، محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، ط 2 ، 1423 ، 2002 ، ص 146.

[2] سورة الاسراء ، الآية ، 85 .

ومما سبق نستنتج من خلال تحليلنا للمقامات والمصطلحات الصوفية في شعر الحلاج ان المقامات هي العبادات و المجاهدات والرياضات وان المصطلحات الصوفية في شعره . هي مصطلحات لها مقاصد ومعاني كريمة غربية على غيرهم وبالنسبة لهم هي الكشف عن معانيها لأنفسهم

مقام التوبة :

التوبة هي الرجوع عما كان مذموما في الشرح الى ما هو محمود فيه

يقول الحلاج :

يارب ، اني اليك منما جنيته تائب منيب

استغفر الله مستقيلا والعبد مما جنى يتوب

ارجوك بل قد وثقت اني من رحمة الله لا اخيب

وليس لي شافع بسواها اذا اضرت بي الذنوب[1]

فالعبد دائما يخطئ ومما عمله وجناه فهو تائب الى الله سيتغفره ويدعوه ، ان يسامحه . فرحمة الله واسعة فالله سبحانه وتعالى لا يخيب ظن عبده به فهو ارحم عباده وغفور رحيم يقبل توبة عبده اذا تاب .

من الاقوال الدالة على هذا الجد .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : << الندم والتوبة >> .

فارباب الاصل من اهل السنة قالو : << شرط التوبة ، حتى تصبح ثلاثة اشياء : الندم على ما عمل من المخالفات وترك الزلة في الحال ، والعزم على ان لا يعود الى مثل ما عمل من المعاصي[2]

[1] ديوان الحلاج ، محمد باسل عيون السود ، دار الكتاب العلمية ، ط 2 ، سنة 1423 هـ ، 2002 م ، ص 172 .

[2] الرسالة القشيرية ، القشيري عبد الكريم ، ج 1 ، طبعة القاهرة ، سنة 1330 ، ص 76 .

يعد مقام التوبة من المقامات المهمة عند المتصوفة .فهو من الاشياء الّتي تقرب العبد من ربه والتي تدفع الانسان . الى ان يفكر قبل ان يقبل على اي عمل ، وان يكون حريصا دائما على ان يعمل الخير والابتعاد عن المعاصي التي نهى الله عنها .

مقام الورع:

قال ابو عثمان : ثواب الورع خفة الحساب ،كما انه الوقوف على حد العلم من غير تأويل [1]

يقول الحلاج :

كل بلاء علي منى فلسني قد اخذت عني .

اردت منى اختبار سري وقد علمت المراد مني .

وليس لي في سواك حظ فكيف ما شئت فامتحني[2] .

فالحلاج عرف انه اذا نزل عنه البلاء فهو في امتحان من خالقه سبحانه فهو يعتبره ما ان كان متبع شهواته او يخاف مقام ربه ويرجوا لقائه فالأمل والحظ متعلق بالله لذا طلب منه ان يمتحنه كيف يشاء .وهذا الورع موجود في اقوال النبي صلى الله عليه وسلم وفي اقوال صحابته حيث نجد : أبوبكر الصديق رضي الله عنه يقول :"كنا ندع سبعين بابا من الحلال مخافة ان نقع في باب من الحرام ".

وقال صلى الله عليه وسلم لأبي هريرة "كن ورعن تكن اعبد الناس ".

وقال يحي بن معاذ : الورع : الوقوف على حدا العلم من غير تأويل[3] .

[1] الرسالة القشيرية ، القشيري عبد الكريم ،ص 85 .

[2] ديوان الحلاج ، محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، ط 2، سنة 1423هـ ، 2002 م ص 189

[3] الرسالة القشيرية ، المرجع السابق ، ص . 185

مقام الزهد:

فالزاهد لا يفرح بموجود من الدنيا و لا يتأسف على مفقود منها والزهد هو النظر الى الدنيا بعين الزوال ، لتصغر في عينك فيسهل عليك الاعراض عنها .

يقول الحلاج :

دنيا تخاذ علي كان بي لست اعرف حالها

حظر الإله حزامها وانا اجتنبت حلالها [1]

لا يبالي الحلاج بالدنيا ومالها وما تقدمه من مغريات وملذات فهو يسلم امره الى الله والرضا لما يمنحه له خالقه عز وجل ، لذلك قال الحسن البصري رحمه الله : << الزهد في الدنيا ان تبغض اهلها وتبغض ما فيها. >>

وقال رجل لذي النون المصري : متى ازهد في الدنيا ؟

فقال : إذا ازدهت نفسك[2]

قال على بن ابي طالب رضي الله عنه ، وسئل عن الزهد : ما كان ؟ فقال :" هو ان لا تبالي من اكل الدنيا من مؤمن او كافر "

كما سئل الشبلي عن الزاهد فقال: " ويلكم اي مقدار لأقل من جناح بعوضة حتى يزهد فيها؟ " [3]

[1] ديوان الحلاج ، محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، ط 2، سنة 1423هـ ، 2002 م ص 101 .

[2] الرسالة القشيرية ، القشيري عبد الكريم ، ج 1، طبعة القاهرة ، سنة 1330 ، ص 92 .

[3] التعرف لمذهب اهل التصوف ، ابي بكر محمد بن اسحاق الكلاباذي ، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، سنة 1413 هـ ، 1993 م ، ص 109 .

إذن الزهد هو حركة من حركات التصوف و، فالزهد يدفع الانسان الى ان يكره الدنيا وما فيها من مفاتن ويزهد حتى نفسه والزاهد كذلك يرى الدنيا بعين الزوال ، وهو يقضي معظم اوقاته في التعبد والتقرب من الله ويتشوق الى للآخرة

مقام المحبة :

المحبة هي المرافقة معناه : الطاعة لله فيها أمر، والانتهاء عن ما زجر، والرضاء بما حكم وقدر .

يقول الحلاج :

لئن امسيت في ثوبي عديم لقد بليا على حر كريم

فلا يحزنك ان ابصرت حالا صغيرة على الحال القديم

فلي نفس ستتلف او سترقى لعمرك بي الى امر جسيم [1]

يقصد بقوله هذا ان لا يبالي العبد ان كان في حالة قديمة واصبح في اخرى هنا تظهر المحبة عنده لذلك قال سهل: " من احب الله فهو العيش ، ومن احب فلا يعيش له "

قال النبي صلى الله عليه وسلم : " حبك الشيء يعمى و يصم "[2]

بين المتصوفة فهذا المقام مقام المحبة ، ولمن يجب ان تكون ، اذ يرون انها يجب ان تكون لله وحده لا شريك له وذلك في طاعته وعبادته وحب كل ما كتب له .

[1] ديوان الحلاج ، محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، ط 2، سنة 1423هـ ، 2002 م ص .186

[2] التعرف لمذهب اهل التصوف ، ابي بكر محمد بن اسحاق الكلاباذي ، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، سنة 1413 هـ ، 1993 م ، ص 129 ، 130.

مقام التوكل :

التوكل هو الاستسلام لجريان القضاء في الاحكام .

يقول الحلاج :

كم ينشرني الهوى وكم يطويني يا مالك دنياي ومولى ديني

يمن هو جنتي ويا روحي انا : ان دام علي هجركم يعييني [1]

التوكل لا يصح إلا لله عز وجل ومن خلال هذه الابيات بدا الحلاج متوكلا كل التوكل على الله سبحانه وتعالى فهو يعينه على عمله وطاعته لذا قال : سري قسطي : << التوكل الانخلاع من الحول والقوة >> وقال سهل ايضا : << التوكل الاسترسال بين يدي الله تعالى >>

قال الجنيد << حقيقة التوكل ان يكون الله تعال كما لم يكن فيكون الله له كما لم يزل . >>[2]

يعد التوكل اذا من المقامات التي تجعل الانسان قريب من الله سبحانه وتعالى ، ولا يغفل عن ذكر الله والاستعانة به وطلب التوفيق منه ان يبارك له في هذا العمل .

[1] ديوان الحلاج ، محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، ط 2، سنة 1423هـ ، 2002 م ، ص .

[2] التعرف لمذهب اهل التصوف ، ابي بكر محمد بن اسحاق الكلاباذي ، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، سنة 1413 هـ ، 1993 م ، ص 118 ، 119 .

مقام الرضا :

فبداية الرضا مكتسبة للعبد وهي من المقامات ونهايته من جملة الاحوال وليست مكتسبة .

يقول الحلاج :

ما حيلة العبد والاقدار جارية عليه في كل حال ايها الرّائي

ألقاه في اليم مكتوف وقال له : اياك اياك ان تبتل بالماء[1]

فالحلاج سلم امره الى الله فهو راض بقضاء الله وقدره فلا اعتراض في تدبير امره سبحانه وتعالى لذا يقول عز وجل : " رضي الله عنهم ورضوا عنه ....."[2]

وقيل : قال موسى عليه السلام : الهي دلني على عمل إذا عملته رضيت به عنى ، فقال : انك لا تطيق ذلك .[3]

كل انسان هو عرضة للأحداث والمواقف الصعبة والتي لا يملك لها القدرة على تخطيها وذلك دليل على ضعف الانسان امام قضاء الله وقدره فالله سبحانه يفعل ما يشاء في خلقه ، والمؤمن الحقيقي يواجه هذه المصائب بالصبر لأنه يعرف بانها امتحان من الله وانه سيلقى جزاء تجاه ذلك

[1] ديوان الحلاج ، محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، ط 2، سنة 1423هـ ، 2002 م ، ص 119 .

[2] سورة البينة ، الآية 8 .

[3] الرسالة القشيرية ، القشيري عبد الكريم ،دار الكتب العلمية ، ط 2 ، طبعة القاهرة ، سنة 1330 هـ ، ج 2، ص 133 .

الملحق

سيرة ابي منصور الحلاج

1– المولد والنشأة والتعلم :

أ – المولد :

ولد ابو مغيث الحسين بن منصور الحلاج في منتصف القرن الثالث هجري تقريبا (حوالي 244 هـ –857 م) ببلدة الطور الواقعة في الشمال الشرقي من البيضاء بفارس – ايران والحلاج بفتح الحاء وتشديد اللام وبعدها الف ثم جيم و انما لقب بذلك لأنه جلس على حانوت حلاج وقدم له شغلا فقال الحلاج : انا مشتغل بالحلج ، فقال له امضي في شغلي حتى احلج عنك ، فمضى الحلاج وتركه فلما عاد رأى قطنه جميعه محلوجا .

وقيل كذلك في سبب تسميته حلاجا انه كان يتكلم قبل أن ينسب إليه علم الاسرار ويخبر عنها فسمي بذلك حلاج الاسرار .[1]

وعلى ضوء ذلك فان الحلاج يمكن أن يكون قد سمي بهذا الاسم لأحد الأمرين أو لكيلاهما معا

فلعله سمى حلاجا لأنه ، ومن قبله اباه ، كان يعمل في بضاعة الغزل والنسيج (الحلج) .

وقد يكون سببا في تسميته حلاجا انه يخرج الاسرار والمعارف من صدور اصحابها اي يحلجها ويجلبها الى الخارج .[2]

لم تتفق المصادر التي ترجمت له على سبب تسمية الحسين بن المنصور بالحلاج ، وسأسوق هنا الاقوال المتعددة في سبب تسمية :

[1] التصوف الاسلامي الطريق والرجال ، فيصل بدير عون ، مطبعة دار الثقافة للطباعة والنشر، د ط ، سنة 1983 ، ص 161 – 162 .

[2] المرجع نفسه، ص162 .

1- كان يتكلم على اسرار الناس وما في قلوبهم ، ويخبر عنها ، فسمي بذلك "حلاج الأسرار" فصار الحلاج لقبه .

2 - قيل انما سمي الحلاج بأنه دخل واسطا فتقدم الى الحلاج وبعثه في شغل له ، قال له الحلاج : ان مشغول بصنعتي . فقال : اذهب انت في شغلي حتى اوعينك في شغلك . فذهب الرجل ، فلما رجع وجد كل القطن في حانوته محلوجا ، فسمي بذلك الحلاج.

3 - وقيل ان اباه كان حلاجا . فنسب إليه .[1]

ب – نشأته وتصوفه :

نشا الحلاج بواسط وصحب الجنيد والنوري وعمر بن عثمان المكي وفي مختصر ابن الوريدي انه قال : " قدم الحلاج من خرسان الى العراق ثم إلى مكه واقام سنة الحجر لا يستضل بسقف يصوم الدهر ويفطر على الماء وثلاث عضات من قرص ثم قدم بغداد متزهدا متصوفا يخرج لناس فاكهة الشتاء في الصيف وبالعكس ويمد يداه في الهواء ويعيدها مملوءة دراهم "[2].

ويقول المستشرق ما سينون : اختار الحلاج سهلا التستيري على عجل ليقرا عليه ويتعلم التصوف على يده ، وتركه وهو في العشرين وارتحل الى البصرة حيث كان الموالي الحارثية في" البيضاء" قد تحالفوا مع بني الملهب الارزديين وذلك ليتلق خرافة الصوفيه من يد "عمر والمكي" وفي الوقت نفسه الذي ارتد فيه الخرافة تزوج بأم الحسين بنت ابي يعقوب الاقطع البصري ولم يتزوج بغيرها وإستمر زواجها موفقا حتى النهاية ، فأنجب ثلاث أولاد وبنت واحدة

[1] الحلاج ، محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، ط 2 ، 1423 هـ 2002 م

[2] اتجاهات الادب الصوفي بين الحلاج وابن العربي ، على الخطيب ، دار التضامن. للطباعة والنشر ، دط ،1404 هـ . ص177 . 178.

وهذا الزواج اثار غيرة عمر والمكي وجعل الحلاج يقيم في البصرة في

"حي التميم" من قبيلة "بني مجاشع " التي كان الكربنائيون من مواليهم كما كانوا سياسيا حلفاء للفتنه الزيدية التي اثارها الزنج ، وكان العهد عهد حروب الارقاء الذين تأثروا بعض ببدعة الشيعية .[1]

ج – تعليمه:

تتلمذ الحلاج على يدي عدد من شيوخ الصوفية الذين صحبهم في ذلك الوقت ، امثال : سهل بن عبد الله التستري ، والجنيد وعمرو بن عثمان المكي، وأبي الحسين النوري .

فكان تعلمه أكثر على يد سهل التوستري ووضع نفسه في خدمة معلمه كما تقتضي العادة ، فتبعه إلى منفاه في البصرة عندما ابعد سهل بسبب دفاعه عن الطابع الجبري للتوبة كان نظام هذا المتصوف يقوم فعلا على تثبيت فكرة ان الانسان يخضع لنظر الله ويذكر تعليمه ، الايمان هو الموقف الديني للإنسان إمام الخالق وهو يجعل من المأمن حجة الله امام الخليقة ويتضمن سرا الهيا ، ستكون هذه العقيدة قاعدة لتأمل الحلاج الشخصي .[2]

عام 262 –875 توجه الحلاج إلى بغداد للالتحاق بمعلم متصوف آخر هو عمرو المكي ، كان المكي سنيا ، يتبع حديث النبي ، على غرار سهل وكان هذا المتشدد يحترس من كل المشاعر الداخلية التي قد تنتاب في تلميذه ، والتحق الحلاج بالجنيد وإثر زواجه الذي إستاء منه معلمه ، فاصبح الجنيد مرشده الروحي ، تعمق الحلاج في الواقع الديني للحب متجنب الوقوع [3]

[1] اتجاهات الادب الصوفي . المرجع السابق ص 178.

[2] الحلاج السعي الى المطلق ، روجيه ارنالديز ، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت لبنان ، د ط ، د ت ، ص 9 – 10.

[3] المرجع نفسه ص 11 – 182

في مطب السكينية التي تعطي الانسان اهمية مبالغا بها فتعرض لسهام

نقد الاسلام الحنيف القائل بان الله ليس بحاجة مطلق لحب البشر وبأنه لا يطالبهم الا بالطاعة المحلة

يري الحلاج مع الجنيد في تجربة التصوف اتحادا بالله لكنه يقوم بخطوة اضافية اذا يقول انه بالإمكان اعتبار المتصوف وهو في هذه التجربة بمثابة الله المتجسد .[1]

وقال ابن سريج عنه احد فقهاء السلف :"اما انا فأراه – اي الحلاج حافظا للقران عالما به ، ماهرا في الفقه ، عالما بالحديث والإخبار والسنة ، صائم الدهر قائما الليل . يعظ ويبكي ، بكلام لا افهمه فلا احكم بكفره ".

ذلكم هو الصوفي ، الذي شهد بولاته بعض الناس ، ويكفره اخرون لمخالفته في الظاهرة الشريعة في بعض اقواله وأعماله ، التي منه وهو في حال الاخذ وقد علق على ذلك هو نفسه ، فقال للشيخ على بن مردويه :"خذ من كلامي ما يبلغ إليه وما أفكره علمك فأعرض عنه ، ولا تتعلق به فتضل عن الطريق"[2].

[1] الحلاج السعي الى المطلق ، المرجع السابق ص 11.

[2] اتجاهات الادب الصوفي بين الحلاج وابن عربي ، علي الخطيب ، دار التضامن للطباعة و النشر ، د ط ، 1404هـ، ص 185.184.

أهم افكاره وشطحاته :

أ – أهم أفكاره :

من المعروف أن الحلاج إدعى الحلول فكان يدعي أن الإله يسكن فيه يقول :

رأى الارض تخلو منك حتى تعالوا يطالبونك في السماء[1]

تراهم ينظرون اليك جهرا وهم لا يبصرون من العماء

فكان يبشر الحشود في الاسواق والمساجد .لكنه اقام ايضا علاقات مع كبار الشخصيات والموظفين . فجعل من نفسه شخصا مشبوها بنظر كل الفرقاء رأى فيه اهل السنة المتشددون مشاغبا شيعيا ممكنا بسبب ألفاظه ولغته الصوفية .

وكذلك التعريف الشائع للتصوف الذي وضعه الحلاج :"حصة الانسان الغارق في وجد الحب هي افراد الواحد الاحد " ، يعني ان المتصوف يغرق في الله عميقا لدرجة لا يبقى سوى الله ، افناء كيانه الشخصي، هذا هو هدف المتصوف الذي يذوب في الله . اتهم الحلاج انه يمارس السحر الأبيض ،كان عالم الحساب احمد الحاسب قد اخبره ابوه بان الحلاج كان قد صرح انه ذاهب[2].

إلى الهند لتعلم السحر ،كان على الشاطئ كوخ يسكنه رجل عجوز سأله الحلاج : "هل يعرف احدكم السحر " عندئذ اخذ العجوز كبيبة خيوط وأعطى طرف الخيط للحلاج ليمسك به ورمى الباقي في الهواء : فتحول الى قوس صعد عليه ثم نزل .وكان الحلاج يدعي القيام بأشياء خارقة ويقال انه كان يتعامل مع الجن وكانت تتنقل حوله اخبار كثيرة[3].

[1] الحلاج السعي الى المطلق ، روجيه ارنالديز ، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت لبنان ، د ط ، د ت ، ص 179.

[2] المرجع نفسه ص 186 – 187.

[3] الحلاج السعي الى المطلق ، المرجع السابق ص 182

تنبؤه بأنه سيصلب ثمة اقوال وأخبار تدل على ان الحلاج كان يعلم انه سيصلب وكان يعلم ايضا ان الله اذا احب عبدا حث عباده بالعداوة عليه ، فكان يطلب ان لكثير اعداؤه والقائمون على قتله ، ومن هذه الاخبار الدالة على ذلك :

– قال الحلاج لإبراهيم بن فاتك : كيف انت يا ابراهيم حسين تراني وقد صلبت وقتلت وأحرقت ، وذلك اسعد يوم من ايام حياتي ، ثم قال لي : لا تجلس ، واخرج في امان الله

– وقال احمد بن فاتك : كنا نبهاوند مع الحلاج وكان يوم الميروز، فسمعنا صوت البوق ، فقال الحلاج : اي شيء هذا ؟ فقلت : يوم النيروز فتأوه وقال : متى ننورز ؟ فقلت : متى تعني ؟ قال[1] :

يوم اصلب ! فلما كان يوم صلبه بعد ثلاث عشرة سنة ، نظر الي من راس الجذع ، وقال : ياحمد نورزنا ! فقلت : ايها الشيخ هل اتحفت ؟ قال: بلى ، اتحفت بالكشف واليقين ، وانا مما اتحفت به خجل غير اني تعجبت الفرح .

– اعلموا ان الله تعالى اباح لكم دمي فاقتلوني ..... اقتلوني تؤجروا وأستريح ، ليس في الدنيا للمسلمين شغل اهم من قتلي .[2]

ومما سبق نستخلص ان هذه الافكار المنسوبة الى الحلاج لا نستطيع ان نحكم عليه بالكفر او نسقطه عنده ولهذا قال ابراهيم بن شيبان قال : دخلت على ابن سريج يوم قتل الحلاج فقلت : يا أبا العباس ما تقول في فتوى هؤلاء في قتل الحلاج . قال لعلهم نسوا قول الله : " تقتلون رجلا كان يقول ربي الله ".

[1] الحلاج ، محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ، ط 2 ، 1423 هـ 2002 م ص 32.

[2] المرجع نفسه ص 33 .34.

ب – شطحاته :

تعريف الشطح : هو ان يتكلم احد مشاهيرهم "ونقصد بمشاهيرهم الصوفية "بكلمات غير معقولة او تتضمن كفرا وزندقة في الظاهر يقولون : انه قالها في حالة جذب وسكر اما في حالة الصحو فيتراجع عنها وقيل في تعريف الشطح كذلك : كلمة عليها رائحة الرعونة والدعوى تصدر عن اهل المعرفة باضطرار و اضطراب [1] .

ويرى الفقهاء ان الشطح هو كل ما خرج عن المألوف والقوانين الفقهية ، لذا يعتبر هذا السلوك من البدع وهو منبوذ عندهم [2].

فمن شطحات الحلاج نجد قوله:

1 – أنا الحق:

فقالها الحلاج عندما بلغ النهاية من الطريق وارتفع إلى تلك الذروة الروحية وتحقق في مقام الجمع . فهناك ثلاثة أحوال للنفس في معراجها الروحي وهي كالتالي :

المرحلة الأولى :

وهي حالة الشعور أو الوعي التي يتمتع بها الصوفي اثناء يقظة وهذه متعددة النواحي متنقلة بين موضوعاتها[3] .

وهي التي يطلق عليها الصوفية "حالة الصحو".

[1] الصوفية نشاتها وتطورها، محمد العبده وطارق عبد الحليم ، دار الارقم للطباعة والنشر، الكوت ، دط ، دت ، ص76.

[2] الحلاج أو صوت الضمير ، ابكار السقاف ، رمتان للنشر والتوزيع ، ط1 ، 1995 م، ص. 149.

[3] المرجع نفسه، ص. 149.

المرحلة الثانية :

هي فقدان ذلك الوعي اثناء "الوجد الصوفي "وهي المسماة "حالة السكر".

المرحلة الثالثة :

هي حالة وعى ثان ترتفع فيها حرارة الوجد الصوفي الي اعلى درجاتها ، وهي المساواة "حالة الصحو الثاني " "او صحو الجمع " لان الصوفي هنا اذ يرجع الى عالم الظاهر الذي منه ابتدأ رجع معه الله بمعنى انه لم يعد يسير الى الله فحسب ، بل اصبح يسير الى الله مع الله . فلما قال الحلاج "انا الحق "فليس ذلك الا عندما اجتذبه المحبوب اليه جذبا فنى به عن ذاته فيه ، فكان قد بلغ "حال الجذب"اي ان الحلاج كان قد بلغ حال الاتحاد بالله .

2 – أنا هو ، وهو أنا:

قالها لأنها لغة من اراد ان يصف الله فوصف نفسه لشعوره بأنه هويته ، فاجتذب الحب المحب الى المحبوب فطويت فما بينهما الابعاد ومحبة المسافات وعن "عين القلب" لم يعد "سر السر"في احتجاب بل وليس هذا [1] .

حسب إنما قال :

لقد رأيت ربي بعين قلبي فقلت من انت قال انت

معنى هذا أن الحلاج قد وصل الى مقام الفناء عن ذاته وفناء بالله ولما كان هدف التصوف هو الفناء في الحق وغايته والأخيرة هي البقاء بالله ، فبلغ الحلاج ارق الاحوال الصوفية جميعا لأنه حال الجذب الى الله يقول :"يامن اسكرني بحبه وحيرني في ميادين قربه "[2] .

[1] الحلاج أو صوت الضمير، ابكار السقاف، ص 145 .

[2] المرجع نفسه، ص 146.

وفي خلاصة هذا المبحث وعلى اثر ما تقدم ذكره من شطحات الحلاج لا يمكن ان نحكم عليه انه متهم بالكفر والزندقة ونضرب مثالا على دليل قوله انا الحق الشمس والقمر مثلا وقارنا ضياء القمر بنور الشمس ان الضوء الصادر عن القمر ليس في الحقيقة الا نور الشمس منعكس على ارض القمر اذا استطاع ضوء القمر النطق ، فماذا يقول : لن يقول الا "أنا الشمس". وهذا قصد الحلاج لأنه كان قمرا في "سماء التوحيد "ولم يعن نفسه قط بأنه هو الحق .

3 – مقتله :

ورث الحلاج المذهب الصوفي عن استاذه الجنيد ، وقد اتهم من قبل السلطات السياسية والدينية في بغداد بزندقة والاتحاد بسب غلوه في ادائه ، فاعدم "ذلك أن تصوره للاتحاد بالله ، وكذلك افكاره عن الرسالة والكرامات التي كان يظهرها ، كل هذه الآراء جعلت الاوساط الصوفية والفقهية والسياسية تدينه" .[1]

أما سبب إعدامه فيرجع إلى أنه قال : "أنا الحق" وهذا يعد كفرا وزندقة لان الحق هو الله ، فأفتي القاضي لقطع رأسه ونفذ الخليفة هذا الحكم .وقد عارض بعض الصوفية اعدامه معتقدين ان الحلاج قال هذا وهو في غيبوبة ، اما لويس ماسينيون الذي كرس حياته في دراسة

الحلاج فقد جعله من اكبر شهداء الرأي ، ولم يفرق هذا المستشرق بين الرأي والزندقة [2] .اقام عليه الوزير علي ابن الفرات سنة 909 م دعوى شرعية لكنه لم يعتقل إلا بعد اربع سنوات . وتم ذلك في بغداد حيث عين مجلس قضاء خاص لمحاكمته ، فاتهم بانه عميل للقرامطة والقي في السجن تسع سنوات . على انها التهمة الاخيرة وجهت اليه وقضت بموته فقد كانت الزندقة والتجديف والقول بالحلول وإدعاء الألوهية.

1 – عن فارس البغدادي قال : قطعت اعضاء الحلاج وما تغير لونه

2 – عن ابي بكر العطوفي قال : قطعت يد الحلاج ورجلاه وما نطق.

[1] جورج شحاته قنواتي ، الفلسفة وعلم الكلام والتصوف ، عالم المعرفة ط 3 الكويت ، 1998م، ج 2، ص 8.

[2] المرجع نفسه ، ص 8.

3 – عن ابي العباس بن عبد العزيز قال : كنت اقرب الناس من الحلاج حين ضرب . فكان يقول مع كل سوط : أحد أحد .

4 – اخر كلمة تكلم بها الحسين بن منصور عند قتله : حسب الواجد افراد الواحد له ، فما سمع بهذا الكلمة فقير الا رق له واستحسنها منه

5 – ضرب الحلاج خمسمائة سوط ، ثم اخرج وقطعت يداه ورجلاه ، ثم صلب فقال : إلهي اصبحت في دار الرغائب انظر الى العجائب ،الهي انك تتودد الى من يؤذيك ، فكيف تتودد الى من يؤذي فيك .

6 – حكي انه رؤى واقفا في الموقف ، والناس في الدعاء وهو يقول : انزهك كما قرفك به عبادك ، وأجرأ اليك مما وحدك به الموحدون

7 – وقيل : انه لما اخرج الى القتل انشد :

طلبت المستقر بكل ارض فلم ارى لي ارض مستقرا

واطلعت مطامعي فاستبعدتني ولو اني قنعت لكنت حرا .

8 – يقال : ان يديه لما قطعت كتب الدم على الأرض : الله الله .

9 – سئل الحلاج عن الصبر فقال : ان تقطع يد الرجل ورجلاه ، ويستمر ويصلب على هذا الجسم ففعل به كل ذلك [1].

[1] الحلاج ، محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ، ط 2 ، 1423 هـ 2002 م ص 35.34.

خاتمة

وفي الأخير نستخلص عبر مراحل هذا البحث عدة ثمرات علمية وهي:

إن وجود التصوف في عهد النبي صلى الله عليه وسلم كان محل خلاف فهناك من يراه ناتج عن الوحي الإلهي خالصا غير مشوب بشيء آخر والرأي الثاني يرى أنه نتج بسبب تداخل الامة الاسلامية مع الأمم الأخرى وكانت بداية نشأته وظهوره في أوائل القرن الثاني للهجرة ولكن هذا القول لا ينبغي عنه اتصاله بسلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين

ويعتبر التصوف في ذاته ما هو إلا الإسلام في شموله وسموه وروحه العالية المتألقة وهو كما إنتهى اليه التعريف الشامل عبارة عن حفظ الشريعة وحسن الخلق وسلب الارادة لله

وإن للتصوف الفاظ ومصطلحات لها معاني جليلة ومقاصد كريمة وتتمثل في الوجد والحقيقة والمريد والمراد كذلك بعض المقامات كالتوبة والتوكل والرضا والزهد.

كما قام الحلاج بعمليتين خطيرتين في الشعر الصوفي كان لهما أثرهما فيه:

أولا:

وهو تحقيق الموضوعات الصوفية التي تلقاها عن الصوفية المتقدمين وإبتادع آراء جديدة لم يسبقه الى الكلام فيها احد فهو اول من تكلم في وحدة الأديان من الاسلام

ثانيا:

وهو في اتحاد لغة الشعر الصوفي تختلف عن لغة الشعر العام وتمتاز بخصائص معينة اهمها المصطلحات والمقامات والكلمات الخاصة والاساليب الجديدة وطريقة التناول وبهذه الطريقة إمتاز الشعر الصوفي في شكله عن الشعر العام فهو كما يرى بعض الدارسين إكتسب شخصيته كفن مستقل له خصائصه الموضوعية والشكلية على يد الحلاج

وفي الأخير لا يسعنا القول أن التصوف يتمثل حصة الإنسان الفارق في وجد الحب وهي إفراد الواحد الأحد كما يعتبره الحلاج وبالنسبة للمقامات والمصطلحات الصوفية في شعره على أنها الطريق المؤدي إلى الله تعالى نرجو من الله الكريم الجليل أننا قد وفقنا ولو بالقليل في إتمام هذا البحث الذي كرسنا له كل وقتنا في انجاحه.

قائمة المصادر

والمراجع

❖ **القرآن الكريم**

❖ **السنة النبوية**

✓ **المعاجم :**

1 – كتاب العين ابو عبد الرحمان الخليل بن احمد الفراهيدي ، دار الرشيد ، للنشر وزارة الثقافة والإعلام ، البلدت : مهدي المقروني وإبراهيم السامرائي سنة 1984م .

2 – لسان العرب لابن منصور ، دار صادر بيروت المجلدو ، ط ، .(مادة ، ص، و.ف)

3 – قاموس المصطلحات الصوفية ، دراسة تراثية مع شرح اصطلاحات اهل الصفاء من كلام الأولياء ايمن حمدي ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، د ط ، سنة 2000 م

✓ **الكتب**

1– الأبعاد الصوفية في الاسلام وتاريخ التصوف ، انماري شميل ، ت محمد اسماعيل ، منشورات الجمل ، ط 1 ، بغداد ، 2006 م

2 –اتجاهات الادب الصوفي بين الحلاج وابن العربي ، على الخطيب ، دار التضامن للطبعة والنشر، د ط ، 1404هـ.

3 –الادب في التراث الصوفي ، محمد عبد المنعم خفاجي ، مكتبة غريب شارع كمال صدقي ، د ط ، د ت ،

4 –بين الصوفية وعلماء الكلام ، جلال الدين الرومي ، ت : عيناية الله ابلاغ الافغاني ، الدار المصرية اللبنانية ، ط 1 ، 1407هـ ، 1987م

5 –تأويل الشعر والفلسفة عند الصوفية ، ايمن يوسف عوده جدار الكتاب العالمي للنشر والتوزيع ، عمان الاردن ، ط1 ، 1428هـ ، 2008م ،

6 –تجليات الشعر الصوفي ايمن يوسف عوده ، قراءة في الاحوال والمقامات ، للمؤسسة العربية للدارسات والنشر ، ط 1، 2001م ،

7 –التصوف الاسلامي بين الاصالة والاقتباس ، عبد القادر احمد عطاء ، دار الجيل ، بيروت ، ط 1، سنة 1407هـ ، 1987م ،

8 – التصوف الاسلامي الطريق والرجال ، فيصل بدير عون ، مطبعة دار الثقافة للطباعة والنشر، د ط ، سنة 1983

9 –التصوف الاسلامي ، ريتولد ديسون ت : نور الدين ، شريبة ، مكتبة الخانجب مصر ،دط ، 1371هـ ، 1951م ،

10 – التصوف و ايجابياته سلبياته ، احمد محمود صبحي ، دار المعارف ، القاهرة ، د ط ’ د ت ،

11 –التصوف في مصر والمغرب ، نال عبد المنعم جاد الله ، ومنشاة المعارف بالإسكندرية ، د ط ، د ت .

12 –التصوف مشكاة الحيران ، ت : عبد الحميد الجوهري ، مطابع افريقيا الشرق ، الدار البيضاء، د ط ، د ت ،

13 –التصوف المنشاة والمصادر ، احسان الهي ظهير ادارة ترجمان السنة ، ط 1 ، سنة 1406هـ 1946م

14 –التعرف لمذهب اهل التصوف ، ابي بكر محمد بن اسحاق الكلاباذي ، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط 1، 1413هـ ، 1993 م

15 –التعريف لمذهب اهل التصوف ، للكلاباذي ، ابو بكر محمد ، ت ، محمد امين النوري ، ط 2، مكتبة الأزهرية ، القاهرة ، سنة 1980 م .

16 –تلبيس ابليس ، عبد الرحمان الجوزي ، ت : اجميلي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط 3، سنة 1409هـ ، 1989م

17 –جواهر التصوف ، يحي بن معاذ الرازي ، ت : سعيد هارون عاشور ، مكتبة الآداب الاسكندرية القاهرة ، د ط ، د ت

18 –جورج شحاتة قنواتي ، الفلسفة علم الكلام والتصوف عالم المعرفة ، ط 3، الكويت ، سنة 1998م ، ج 2

19 – الحلاج او صوت الضمير ، ابكار السقاف ، رمتان للنشر والتوزيع ، ط1 ، 1995 م.

20– الحلاج السعي الى المطلق ، روجيه ارنالديز ، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت لبنان ، د ط ، د ت

21 –الحلاج ، محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، ط 2 ، 1423 هـ 2002 م

22– الرسالة القشيرية ، القشيري عبد الكريم ، ج 2 ، طبعة القاهرة ، سنة 1330هـ

23 –الصوفية في نظر الاسلام ، دراسة وتحليل عاطف الزين ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط 3،1985 م

24– الصوفية نشاتها وتطورها، محمد العبده وطارق عبد الحليم ، دار الارقم للطباعة والنشر، الكوت ، دط ، دت

25 –الطرق الصوفية في مصر نشأتها ونظامها وروادها ، عامر النجار ، دار المعارف ، ط 5، د ت،

26 –العلاقة بين التشيع والتصوف ، رسالة دكتوراه ، الطالب فلاح بن اسماعيل بن احمد اشراف الشيخ : عبد الله بن محمد الغنيمان الجامعة الاسلامية بالمدينة النبوية سنة 1411هـ .

27 –الفلسفة الاسلامية وأعلامها ، يوسف فرحات ، الشركة الشرقية للمطبوعات ، ط 1، 1986م ،

28 – قاموس المصطلحات الصوفية ، دراسة تراثية مع شرح اصطلاحات اهل الصفاء من كلام الاولياء ، ايمن حمدي ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، د ط ، سنة 2000 م

29 –قواعد التصوف احمد بن احمد ، البرنيسي المغربي ، محمد درويش، دار البيروتي سوريا ، دمشق ، ط ، سنة 1424هـ ، 2004م .

30 –كفاية المنصف في فهم التصوف ، محمد ابراهيم محمد السالم ، مطبعة حمادة بقويسنا

31 –اللمع في التصوف ، الساج الطوسي ، القاهرة ، د ط ، سنة 1960م .

32 –مجموعة فتاوى شيخ الاسلام بن تيمية ، جمع وترتيب بن القاسم وابنائه محمد طبع بإشراف الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين السعودية ، د ط ، د ت ،

33 –مع الله في التصوف والمتصوفين ، محمد فتحي حافظ قوره ، مؤسسة الاهرام للنشر والتوزيع .

34 – مقدمة في التصوف ، ابي عبد الرحمان السلمي، ت : يوسف زيدان ، دار الجيل بيروت ، ط 1، سنة1419 هـ ، 1999م .

35 –المقدمة لابن خلدون ، نقلا عن عمرو فروخ التصوف في الاسلام دار الكتاب العربي بيروت .

36 – موسوعة مصطلحات التصوف الاسلامي ، رفيق العجم ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، ط1، سنة 1999م .

37 – الموفي بمعرفة التصوف والصوفي ،كمال الدين ابي الفصل ، ت: محمد عيسى صالحيه ، مكتبة دار العروبة ، مصر ، ط 1، 1408هـ ، 1988م .

فهرس

الموضوعات

العنوان	رقم الصفحة
شكر وعرفان	
مقدمة	أ- ب
الفصل الأول : الحلاج والتصوف	
أولا : في التصوف	8
1 – مفهوم التصوف	8
2 – معاني مصطلح التصوف	11
3 – نشاته التصوف	13
ثانيا : في مصطلحات ومقامات التصوف	16
1 – المصطلح الصوفي	16
2 – مقامات الصوفيه	18
الفصل الثاني : مصطلحات التصوف ومقاماته من خلال ديوان الحلاج	
--- عرض وتحليل ---	
أولا : في المصطلحات	25
1 – مصطلح المريد	25
2 –مصطلح التجلي	26
3 –مصطلح السر	27
4 – مصطلح الخواطر	28
5 – مصطلح الوجد	30
6 – مصطلح الحقيقة	31
7 –مصطلح الذكر	32
8 – مصطلح الروح	33
ثانيا : في المقامات	35

1 – مقام التوبه	35
2 – مقام الورع	36
3 – مقام الزهد	37
4 – مقام المحبه	39
5 – مقام التوكل	40
6- مقام الرضا	41
الملحق	43
خاتمه	55
قائمة المصادر والمراجع	58
فهرس الموضوعات	